

لوح السلطان ناصر الدين شاه القاجاري

حضرة بهاء الله

مترجم. اللغة الأصلية الفارسية



لوح السلطان (معرب) - حضرة بهاء الله - الواح حضرة بهاء الله الى
الملوك والرؤساء، ١٤٠ بديع، الصفحات ٧ - ٣٩

﴿لوح السلطان﴾

ناصر الدين شاه القاجاري

(معرب عن الفارسية)

هُوَ اللهُ تَعَالَى شَأْنُهُ الْعَظْمَةُ وَالْإِقْتِدَارُ

يَا مَلِكَ الْأَرْضِ اسْمِعْ نِدَاءَ هَذَا الْمَمْلُوكِ إِنِّي عَبْدٌ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَأَيَّاتِهِ وَفَدَيْتُ نَفْسِي فِي سَبِيلِهِ وَيَشْهَدُ بِذَلِكَ مَا أَنَا فِيهِ
مِنَ الْبَلَايَا الَّتِي مَا حَمَلَهَا أَحَدٌ مِنَ الْعِبَادِ وَكَانَ رَبِّي الْعَلِيمُ عَلَيَّ مَا أَقُولُ شَهِيداً، مَا دَعَوْتُ النَّاسَ إِلَّا إِلَى اللَّهِ رَبِّكَ
وَرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَرَدَ عَلَيَّ فِي حُبِّهِ مَا لَا رَأَتْ عَيْنُ الْإِبْدَاعِ شَبَّهًا، يُصَدِّقُنِي فِي ذَلِكَ الْعِبَادُ الَّذِينَ مَا مَنَعْتَهُمْ سُبْحَاتُ
الْبَشَرِ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَى الْمَنْظَرِ الْأَكْبَرِ وَعَنْ وِرَائِهِمْ مِنْ عِنْدِهِ عِلْمٌ كُلِّ شَيْءٍ فِي لَوْحٍ حَفِيظٍ، كُلَّمَا أَمْطَرْتَ سَحَابُ
الْقَضَاءِ سَهَامَ الْبَلَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَالِكِ الْأَسْمَاءِ أَقْبَلْتُ إِلَيْهَا وَيَشْهَدُ بِذَلِكَ كُلُّ مُنْصِفٍ خَيْرٍ، كَمْ مِنْ لَيَالٍ فِيهَا
اسْتَرَاخَتِ الْوُحُوشُ فِي كَنَائِسِهَا وَالطُّيُورُ فِي أَوْكَارِهَا وَكَانَ الْغُلَامُ فِي السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالُ وَلَمْ يَجِدْ لِنَفْسِهِ نَاصِراً وَلَا
مُعِيناً، أَنْ اذْكَرَ فَضَلَ اللَّهِ عَلَيْكَ إِذْ كُنْتَ فِي السِّجْنِ مَعَ أَنْفُسِ مَعْدُودَاتٍ وَأَخْرَجَكَ مِنْهُ وَنَصَرَكَ بِجُنُودِ الْغَيْبِ



وَالشَّهَادَةَ إِلَى أَنْ أَرْسَلَكَ السُّلْطَانُ إِلَى الْعِرَاقِ بَعْدَ الَّذِي كَشَفْنَا لَهُ بِأَنَّكَ مَا كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ، إِنَّ الَّذِينَ اتَّبَعُوا
 الْهُوَى وَأَعْرَضُوا عَنِ التَّقْوَى أَوْلَتْكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، وَالَّذِينَ يَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ وَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ
 النَّاسِ بِالْبَاطِلِ نَحْنُ بَرَاءٌ مِنْهُمْ وَنَسَأَلُ اللَّهَ بِأَنْ لَا يَجْمَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بِأَنْ يَتُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّهُ
 هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، إِنَّ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ يَنْبَغِي لَهُ بِأَنْ يَكُونَ مُتَمَتِّزًا فِي كُلِّ الْأَعْمَالِ عَمَّا سِوَاهُ وَيَتَّبِعَ مَا أَمَرَ بِهِ فِي
 الْكِتَابِ كَذَلِكَ قَضِيَ الْأَمْرُ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ، وَالَّذِينَ نَبَذُوا أَمْرَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ أَوْلَتْكَ فِي خَطَأٍ
 عَظِيمٍ.

يَا سُلْطَانُ أَقْسَمُكَ بِرَبِّكَ الرَّحْمَنِ بِأَنْ تَنْظُرَ إِلَى الْعِبَادِ بِلَحْظَاتٍ أَعْيُنِ رَأْفَتِكَ وَتَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ لِيَحْكُمَ اللَّهُ لَكَ
 بِالْفَضْلِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْحَاكِمُ عَلَى مَا يَرِيدُ، سَتَفْنِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْعِزَّةِ وَالذَّلَّةِ وَيَبْقَى الْمَلِكُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْعَلِيِّ الْعَلِيمِ،
 قُلْ إِنَّهُ أَوْقَدَ سِرَاجَ الْبَيَانِ وَبَمِدَّةِ يَدَيْهِ الْمَعَانِي وَالتَّيْبَانَ تَعَالَى رَبُّكَ الرَّحْمَنُ مِنْ أَنْ يَقُومَ مَعَ أَمْرِهِ خَلْقُ الْأَكْوَانِ إِنَّهُ
 يُظْهِرُ مَا يَشَاءُ بِسُلْطَانِهِ وَيَحْفَظُهُ بِقَبِيلٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ خَلْقِهِ وَالْغَالِبُ عَلَى بَرِيَّتِهِ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ
 الْحَكِيمُ.

يَا سُلْطَانُ إِنِّي كُنْتُ كَأَحَدٍ مِنَ الْعِبَادِ وَرَاقِدًا عَلَى الْمَهَادِ مَرَّتَ عَلَيَّ نَسَائِمُ السُّبْحَانِ وَعَلَيْتِي عِلْمٌ مَا كَانَ لَيْسَ هَذَا
 مِنْ عِنْدِي بَلْ مِنْ لَدُنْ عَزِيزٍ عَلِيمٍ، وَأَمَرَنِي بِالنَّدَاءِ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَبِذَلِكَ وَرَدَ عَلَيَّ مَا تَذَرَفَتْ بِهِ عَيُونُ
 الْعَارِفِينَ، مَا قَرَأْتُ مَا عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الْعُلُومِ وَمَا دَخَلْتُ الْمَدَارِسَ فَاسْتَلَيْتُ الْمَدِينَةَ الَّتِي كُنْتُ فِيهَا لِتَوْفِقِ بَأْتِي لَسْتُ
 مِنَ الْكَاذِبِينَ، هَذَا وَرَقَةٌ حَرَكْتَهَا أَرْيَاحُ مَشِيَّةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ هَلْ لَهَا اسْتِقْرَارٌ عِنْدَ هُبُوبِ أَرْيَاحِ عَاصِفَاتٍ؟ لَا
 وَمَالِكِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ بَلْ تُحْرَكُهَا كَيْفَ تُرِيدُ، لَيْسَ لِلْعَدَمِ وَجُودٌ تَلْقَاءَ الْقَدَمِ قَدْ جَاءَ أَمْرُهُ الْمُبْرَمُ وَأَنْطَقَنِي
 بِذِكْرِهِ بَيْنَ الْعَالَمِينَ، إِنِّي لَمْ أَكُنْ إِلَّا كَالْمَيِّتِ تَلْقَاءَ أَمْرِهِ قَلْبَتِي يَدُ إِرَادَةِ رَبِّكَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَلْ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ
 يَتَكَلَّمَ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ بِمَا يَعْتَرِضُ بِهِ عَلَيْهِ الْعِبَادُ مِنْ كُلِّ وَضِيعٍ وَشَرِيفٍ؟ لَا فَوَالَّذِي عِلْمَ الْقَلَمِ أَسْرَارَ الْقَدَمِ إِلَّا مَنْ
 كَانَ مُؤَيَّدًا مِنْ لَدُنْ مُقْتَدِرٍ قَدِيرٍ، يُخَاطِبُنِي الْقَلَمُ الْأَعْلَى وَيَقُولُ لَا تَحْفَ أَنْ أَقْصِصَ لِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ مَا وَرَدَ عَلَيْكَ
 إِنَّ قَلْبَهُ بَيْنَ اصْبَعِي رَبِّكَ الرَّحْمَنِ لَعَلَّ يَسْتَشْرِقُ مِنْ أَفْقِ قَلْبِهِ شَمْسُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ كَذَلِكَ كَانَ الْحُكْمُ مِنْ لَدُنِي
 الْحَكِيمِ مَنْزُولًا.

قُلْ يَا سُلْطَانُ فَانظُرْ بِطَرْفِ الْعَدْلِ إِلَى الْغُلَامِ ثُمَّ احْكُمْ بِالْحَقِّ فِيمَا وَرَدَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ ظِلَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ وَآيَةَ
 قُدْرَتِهِ لِمَنْ فِي الْبِلَادِ أَنْ احْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ ظَلَمُونَا مِنْ دُونِ بَيْنَةٍ وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ، إِنَّ الَّذِينَ فِي حَوْلِكَ يُحِبُّونَكَ
 لِأَنْفُسِهِمْ وَالْغُلَامُ يُحِبُّكَ لِنَفْسِكَ وَمَا أَرَادَ إِلَّا أَنْ يَقْرَبَكَ إِلَى مَقَرِّ الْفَضْلِ وَيَقْبَلِكَ إِلَى يَمِينِ الْعَدْلِ وَكَانَ رَبُّكَ عَلَى مَا
 أَقُولُ شَهِيدًا.

أَنْ يَا سُلْطَانُ لَوْ تَسَمَّعُ صَرِيرَ الْقَلَمِ الْأَعْلَى وَهَدِيرَ وَرَقَاءِ الْبَقَاءِ عَلَى أَفْئَانِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فِي ذِكْرِ اللَّهِ مُوجِدِ الْأَسْمَاءِ
 وَخَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ لِيَبْلُغَكَ إِلَى مَقَامٍ لَا تَرَى فِي الْوُجُودِ إِلَّا تَجَلِّيَ حَضْرَةِ الْمَعْبُودِ وَتَرَى الْمَلِكَ أَحْقَرَ شَيْءٍ

عُنْدَكَ تَضَعُهُ لِمَنْ أَرَادَ وَتَتَوَجَّهُ إِلَى أَفْقٍ كَانَ بِأَنْوَارِ الْوَجْهِ مُضِيئًا، وَلَا تَحْمِلُ ثِقَلَ الْمَلِكِ أَبَدًا إِلَّا لِنُصْرَةِ رَبِّكَ الْعَلِيِّ
 الْأَعْلَى إِذَا يُصَلِّينَ عَلَيْكَ الْمَلَأَ الْأَعْلَى، حَبَدًا لِهَذَا الْمَقَامِ الْأَسْنَى لَوْ تَرْتَقِي إِلَيْهِ بِسُلْطَانٍ كَانَ بِاسْمِ اللَّهِ مَعْرُوفًا، وَمِنْ
 النَّاسِ مَنْ قَالَ إِنَّ الْغُلَامَ مَا أَرَادَ إِلَّا إِبْقَاءَ اسْمِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهُ أَرَادَ الدُّنْيَا لِنَفْسِهِ بَعْدَ الَّذِي مَا وَجَدَتْ فِي أَيَّامِي
 مَقَرَّ الْأَمْنِ عَلَى قَدَرٍ أَضْعَفُ رَجُلِي عَلَيْهِ، كُنْتُ فِي كُلِّ الْأَحْيَانِ فِي غَمَرَاتِ الْبَلَايَا الَّتِي مَا أَطَّلَعَ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ إِنَّهُ قَدْ
 كَانَ عَلَى مَا أَقُولُ عَلِيمًا، كَرَّمٌ مِنْ أَيَّامٍ اضْطَرَبَتْ فِيهَا أَحْبَبِي لِضُرِّي وَكَرَّمٌ مِنْ لَيَالٍ ارْتَفَعَ فِيهَا نَحِيبُ الْبُكَاءِ مِنْ أَهْلِي
 خَوْفًا لِنَفْسِي وَلَا يَتَكْرَهُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ عَنِ الصِّدْقِ مُحْرَمًا، وَالَّذِي لَا يَرَى لِنَفْسِهِ الْحَيَاةَ فِي أَقْلٍ مِنْ أَنْ هَلْ يَرِيدُ
 الدُّنْيَا؟ فَيَا عَجَبًا مِنَ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِأَهْوَاءِهِمْ وَهَامُوا فِي بَرِيَّةِ النَّفْسِ وَالْهَوَى سَوْفَ يُسْتَلُونَ عَمَّا قَالُوا يَوْمَئِذٍ لَا يَجِدُونَ
 لِأَنْفُسِهِمْ حَمِيمًا وَلَا نَصِيرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهُ كَفَرَ بِاللَّهِ بَعْدَ الَّذِي يَشْهَدُ كُلُّ جَوَارِحِي بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالَّذِينَ
 بَعَثَهُم بِالْحَقِّ وَأَرْسَلَهُم بِالْهُدَى أُولَئِكَ مَظَاهِرُ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَمَطَالِعُ صِفَاتِهِ الْعُلْيَا وَمَهَابِطُ وَحْيِهِ فِي مَلَكُوتِ
 الْإِنشَاءِ، وَبِهِمْ تَمَّتْ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى مَا سِوَاهُ وَنُصِبَتْ رَايَةُ التَّوْحِيدِ وَظَهَرَتْ آيَةُ التَّجْرِيدِ وَبِهِمْ اتَّخَذَ كُلُّ نَفْسٍ إِلَى ذِي
 الْعَرْشِ سَبِيلًا، نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يَزَلْ كَانَ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ مِنْ شَيْءٍ وَلَا يَزَالُ يَكُونُ بِمِثْلِ مَا قَدْ كَانَ، تَعَالَى
 الرَّحْمَنُ مِنْ أَنْ يَرْتَقِي إِلَى إِدْرَاكِ كُنْهِهِ أَفْتَدَةَ أَهْلِ الْعِرْفَانِ أَوْ يَصْعَدَ إِلَى مَعْرِفَةِ ذَاتِهِ إِدْرَاكِ مَنْ فِي الْأَكْوَانِ، هُوَ
 الْمُقَدَّسُ عَنْ عِرْفَانِ دُونِهِ وَالْمُنَزَّهُ عَنْ إِدْرَاكِ مَا سِوَاهُ إِنَّهُ كَانَ فِي أَرْزَالِ الْأَزَالِ عَنِ الْعَالَمِينَ غَنِيًّا، وَادَّكَّرَ الْأَيَّامِ الَّتِي
 فِيهَا أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْبَطْحَاءِ عَنْ أَفْقٍ مَشِيئَةَ رَبِّكَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى أَعْرَضَ عَنْهُ الْعُلَمَاءُ وَاعْتَرَضَ عَلَيْهِ الْأَدْبَاءُ لِتَطَّلِعَ بِمَا
 كَانَ الْيَوْمَ فِي حِجَابِ النُّورِ مُسْتَوْرًا، وَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ إِلَى أَنْ تَفَرَّقَ مَنْ فِي حَوْلِهِ بِأَمْرِهِ كَذَلِكَ
 كَانَ الْأَمْرُ مِنْ سَمَاءِ الْعِزِّ مُنْزُولًا، ثُمَّ اذْكُرْ إِذْ دَخَلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى النَّجَاشِيِّ وَتَلَا عَلَيْهِ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ لِمَنْ
 حَوْلَهُ إِنَّهَا نَزَلَتْ مِنْ لَدُنِّ عَلِيمٍ حَكِيمٍ، مَنْ صَدَقَ بِالْحُسْنَى وَأَمَّنَ بِمَا آتَى بِهِ عَيْسَى لَا يَسْعَهُ الْإِعْرَاضُ عَمَّا قُرِئَ إِنَّا
 نَشْهَدُ لَهُ كَمَا نَشْهَدُ لِمَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْمُهَيْمِنِ الْقَيُّومِ.

تَاللَّهِ يَا مَلِكُ لَوْ تَسْمَعُ نَعَمَاتِ الْوَرَقَاءِ الَّتِي تَغْنُّ عَلَى الْأَفْئَانِ بِفُنُونِ الْأَلْحَانِ بِأَمْرِ رَبِّكَ الرَّحْمَنِ لَتَدْعُ الْمَلِكُ عَنْ وَرَائِكَ
 وَتَتَوَجَّهُ إِلَى الْمَنْظَرِ الْأَكْبَرِ الْمَقَامِ الَّذِي كَانَ كِتَابُ الْفَجْرِ عَنْ أَفْقِهِ مَشْهُودًا، وَتَنْفِقُ مَا عِنْدَكَ ابْتِغَاءً لِمَا عِنْدَ اللَّهِ إِذَا
 تَجَدَّدَ نَفْسُكَ فِي عُلُوِّ الْعِزَّةِ وَالْإِسْتِعْلَاءِ وَسُمُوِّ الْعِظَمَةِ وَالْإِسْتِغْنَاءِ كَذَلِكَ كَانَ الْأَمْرُ فِي أُمَّ الْبَيَانِ مِنْ قَلَمِ الرَّحْمَنِ
 مُسْتَوْرًا، لَا خَيْرَ فِيمَا مَلَكَتَهُ الْيَوْمَ فَسَوْفَ يَمْلِكُهُ غَدًا غَيْرُكَ أَنْ اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ مَا اخْتَارَهُ اللَّهُ لِأَصْفِيَائِهِ إِنَّهُ يُعْطِيكَ فِي
 مَلَكَوتِهِ مُلْكًا كَبِيرًا، نَسَأَلُ اللَّهَ بِأَنْ يُؤَيِّدَ حَضْرَتَكَ عَلَى إِصْغَاءِ الْكَلِمَةِ الَّتِي مِنْهَا اسْتَضَاءَ الْعَالَمُ وَيَحْفَظَكَ عَنِ الَّذِينَ
 كَانُوا عَنْ شَطْرِ الْقُرْبِ بَعِيدًا.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ يَا إلهي كَرَّمٌ مِنْ رُؤُوسٍ نُصِبَتْ عَلَى الْقَنَاةِ فِي سَبِيلِكَ وَكَرَّمٌ مِنْ صُدُورٍ اسْتَقْبَلَتْ السَّهَامَ فِي رِضَابِكَ
 وَكَرَّمٌ مِنْ قُلُوبٍ تَشَبَّكَتْ لَارْتِفَاعِ كَلِمَتِكَ وَأَنْتَشَارِ أَمْرِكَ وَكَرَّمٌ مِنْ عُيُونٍ تَذَرَفَتْ فِي حَيْكِكَ، أَسْئَلُكَ يَا مَالِكَ الْمُلُوكِ
 وَرَاحِمِ الْمَمْلُوكِ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الَّذِي جَعَلْتَهُ مَطْلِعَ أَسْمَائِكَ الْحُسْنَى وَمُظْهِرَ صِفَاتِكَ الْعُلْيَا بِأَنْ تَرْفَعَ السُّبْحَاتِ الَّتِي
 حَالَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ خَلْقِكَ وَمَنْعَتَهُمْ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَى أَفْقٍ وَحَيْكِكَ، ثُمَّ اجْتَذِبْهُمْ يَا إلهي بِكَلِمَتِكَ الْعُلْيَا عَنْ شِمَالِ الْوَهْمِ
 وَالنَّسْيَانِ إِلَى يَمِينِ الْبِقِينِ وَالْعِرْفَانِ لِيَعْرِفُوا مَا أَرَدْتَ لَهُمْ بِجُودِكَ وَفَضْلِكَ وَتَتَوَجَّهُوا إِلَى مُظْهِرِ أَمْرِكَ وَمَطْلِعِ آيَاتِكَ،

يا إلهي أنت الكريم ذو الفضل العظيم لا تمنع عبادك عن البحر الأعظم الذي جعلته حاملاً للتألي عليك وحكمتك ولا تطردهم عن بابك الذي فتحته على من في سمائك وأرضك، أي رب لا تدعهم بأنفسهم لأنهم لا يعرفون ويهرون عما هو خير لهم مما خلق في أرضك، فانظر إليهم يا إلهي بلحظات أعين الطافك ومواهبك وخلصهم عن النفس والهوى ليتقربوا إلى أفقك الأعلى ويجدوا حلاوة ذكرك ولذة المائدة التي نزلت من سماء مشيتك وهواء فضلك، لم يزل أحاط كرمك الممكنات وسبقت رحمتك الكائنات لا إله إلا أنت الغفور الرحيم.

سبحانك يا إلهي أنت تعلم بأن قلبي ذاب في أمرك وبغلي دمي في كل عراقي من نار حيك وكل قطرة منه يناديك بلسان الحال يا ربي المتعال فأسفكني على الأرض في سبيلك لينبت منها ما أردته في ألواحك وسترتة عن أنظر عبادك إلا الذين شربوا كوثر العلم من أيادي فضلك وسلسيل العرفان من كأس عطائك، وأنت تعلم يا إلهي بأني ما أردت في أمر إلا أمرك وما قصدت في ذكر إلا ذكرك وما تحرك قلبي إلا وقد أردت به رضائك وأظهار ما أمرتني به بسطوانك، تراني يا إلهي متحيراً في أرضك إن أذكر ما أمرتني به يعترض علي خلقك وإن أترك ما أمرت به من عندك أكون مستحقاً لسياط قهرك وبعيداً عن رياض قربك، لا فوعرتك أقبلت إلى رضائك وأعرضت عما تهوى به أنفس عبادك وقبلت ما عندك وتركت ما يبعدي عن مكامن قربك ومعارض عرك، فوعرتك بحيك لا أجزع عن شيء وفي رضائك لا أفزع من بلايا الأرض كلها ليس هذا إلا بحولك وقوتك وفضلك وعنايتك من غير استحقاق بذلك، فيا إلهي هذا كتاب أريد أن أرسله إلى السلطان وأنت تعلم بأني ما أردت منه إلا ظهور عدله لخلقك وبروز الطافه لأهل مملكتك، وأني لنفسي ما أردت إلا ما أردته ولا أريد بحولك إلا ما تريد، عدمت كينونة تريد منك دونك فوعرتك رضاؤك منتهى أمني ومشيتك غاية رجائي، فأرحم يا إلهي هذا الفقير الذي تشبث بذيل غنائك وهذا الذليل الذي يدعوك بأنك أنت العزيز العظيم، أيد يا إلهي حضرة السلطان على إجراء حدودك بين عبادك وإظهار عدلك بين خلقك ليحكم على هذه الفئة كما يحكم على ما دونهم إنك أنت المقتدر العزيز الحكيم.

سافر هذا العبد من كرسي المملكة الفارسية إلى العراق العربي بناء على إذن سلطان الزمان وإجازته وأقام في ذلك البلد اثني عشر عاماً لم يرفع في غضونهما إلى الجنب السلطاني عن الحادثات شيئاً وكذلك لم تحط الدول الأخرى علماً بما حدث ولبثنا في تلك البلاد متوكلين على الله حتى قدم العراق أحد المأمورين وبعد مجيئه قصد إيذاء ثلثة من الفقراء وكل يوم كان يغويه رهط من العلماء القشريين وغيرهم للاعتراض على هؤلاء العباد مع إنه لم يبد منهم ما يخالف الدولة والملة ولا ما يبين أصول وآداب أهل المملكة وقد خشي هذا العبد أن تكون عاقبة أفعال المعتدين أمراً ينافي رغبات السلطان، فوجه خطاباً مجملاً إلى وزير الخارجية ميرزا سعيد خان لعرضه على جلالة الملك ثم العمل طبق ما يأمر به، وتوالت الأيام ولم يصد حكم في هذا الشأن حتى أشرف الأمر على خطر وخيف أن يعم الفساد بغتة فتسفك دماء كثير من الناس، ولا محالة وحفظاً لعباد الله ارتأى عدد يسير مراجعة والي العراق، فلو نظرت بعين الإنصاف في ما جرى لتجلى في مرآة قلبك المنير أن الأمر لم يأخذ مجرى إلا اقتضاء للمصلحة. ولم يكن ثمة علاج آخر حسب الظاهر. والمملك ذاته شاهد ومطلع بأنه كلها حلت فئة من هذه الطائفة بمكان ما اشتعلت فيه نار الحرب والجدال بسبب تعدي بعض الحكام، ولكن هذا العبد الثاني بعد أن وصل العراق منع الجميع من

الفَسَاد والنِّزَاع، وأفعاله تشهد على ذلك لأنَّ الجميع مطَّلعون وشاهدون بأنَّ عدد هذه الطَّائفة في العراق أكثر من عددهم في جميع البلدان ومع هذا لم يتجاوز أحد منهم حدّه ولم يعترض نفساً ومضى ما يناهز خمسة عشر عاماً والكلّ ناظرون إلى الله متوكِّلون عليه صابرون على ما ورد عليهم مفوضون الأمر إلى الله، وبعد قدوم هذا العبد إلى هذا البلد المسمّى بأدرنة استفسره البعض من أهل العراق وغيرهم عن معنى النِّصرة الواردة في الكتب الإلهية فأجبت أسئلتهم بردود شتى نأتى على أحدها في هذه الورقة، حتى يتبين لحضرتك بأنَّ هذا العبد لا يريد إلاَّ الصِّلاح والإصلاح. ومما هو معلوم وواضح أنَّ العناية السَّابقة والرَّحمة الواسعة الإلهية - وإن لم يكن جلياً وواضحاً ما منحه الله له بفضلته من غير استحقاق - لم تحرم هذا القلب من طراز العقل وها هي صورة الكلمات التي قيلت في معنى النِّصرة:

﴿هُوَ اللهُ تَعَالَى﴾

من الجليّ أنّ الحقَّ جلّ ذكره كان مقدّساً عن الدُّنيا وما فيها، وليس القصد من النِّصرة محاربة نفساً نفساً أو مجادلتها، إنّ سلطان يفعل ما يشاء وضع ملكوت الإنشاء برّاً وبحراً في يد الملوك، فهم مظاهر القدرة الإلهية على قدر مراتبهم فإن آووا إلى ظلّ الحقّ فهم محسوبون من أهله وإلاّ إنّ ربك لعليم وخبير، وما أراد الحقَّ جلّ ذكره لنفسه هو قلوب عباده التي هي ككائنات الذكر والمحبة الربّانية وخزائن العلم والحكمة الإلهية، شاء السُّلطان الأزليّ وما يزال أن يطهر قلوب العباد من إشارات الدُّنيا وما فيها حتى تصبح قابلة لأنوار تجليات ملك الأسماء والصفات، إذاً يجب أن لا يجد الغريب سبيلاً إلى مدينة القلب ليستقرّ الحبيب وحده في مقرّه وهذا لا يعني حلول ذاته تعالى بل تجلّي أسمائه وصفاته لأنّ ذلك السُّلطان المنزه عن المثل كان ولا يزال مقدّساً عن الصُّعود والنُّزول إذاً فليس معنى النِّصرة اليوم الاعتراض على أحد أو المجادلة مع نفس بل المرغوب هو فتح مدائن القلوب التي هي تحت سلطة جنود النفس والهوى بسيف البيان والحكمة والتّبيان، لذا فكلّ فرد أراد النِّصرة وجب عليه أولاً أن يملك مدينة قلبه بسيف المعاني والبيان ويصونه عن ذكر ما سوى الله ثمّ يتجه نحو مدائن القلوب الأخرى، هذا هو المقصود من النِّصرة، ولا يزال الفساد غير مقبول لدى الحقّ، وما ارتكبه بعض الجهّال فيما مضى ليس مرضياً فقط، إنّ تَقْتُلُوا فِي رِضَاهُ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَقْتُلُوا، يجب اليوم على الأعباء أن يُظهروا أعمالاً بحيث تكون سبباً لهداية الجميع إلى رضوان الله ذي الجلال، قسماً بشمس أفق التّقدّيس إنّ أحبّاء الله ما داموا غير مكترئين للأرض وأموالها الفانية قطّ، إنّ الله لم يزل ينظر إلى قلوب عباده وهذا من عنايته الكبرى، عسى أن تتنزه النفوس الفانية عن الشُّؤون التّرابية وتدخل المقامات الباقية، ناهيك أنّ ذلك السُّلطان الحقيقيّ مستغن عن الكلّ بنفسه لنفسه، فلا يعود من حبّ الممكّات إليه نفع ولا يناله من بغضهم ضرر، كلّهم ظهروا من الأمكنة التّرابية ويرجعون إليها والله بفرديّته ووحدانيّته كان مستقراً في مقرّه الذي تقدّس عن المكان والزّمان والذّكر والبيان والإشارة والوصف والتّعريف والعلوّ والدنو، ولا يعلم ذلك إلاّ هو ومن عنده علم الكتاب لا إله إلاّ هو العزيز الوهاب انتهى.

ولكن حُسن سير الأعمال منوط بأن ينظر الملك بنفسه في الأمور بعين العدل والاهتمام ولا يكتفي بالتقارير التي تقدم إليه من بعض الناس وهي مجردة عن البيّنة والبرهان. نَسَأَلُ اللّٰهَ بِأَنَّ يُؤَيِّدَ السُّلْطَانَ عَلَى مَا أَرَادَ وَمَا أَرَادَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُرَادَ الْعَالَمِينَ.

ثمَّ أمرُوا بإحضار هذا العبد إلى اسطنبول فدخلنا تلك المدينة برفقة زمرة من الفقراء وبعد الوصول لم نقابل أحداً، حيث لم يكن لنا مطلب أو هدف سوى أن نبرهنَ للكُلِّ بأن هذا العبد ليست لديه آية خِطَّة للفساد ولا صلة له مطلقاً بالمفسدين فوالَّذِي أَنْطَقَ لِسَانَ كُلِّ شَيْءٍ بِثَنَاءِ نَفْسِهِ إِنَّ مَا كَانَ عَلَيْنَا صِعْباً عَمَلُهُ هُوَ التَّوَجُّهُ إِلَى جِهَةِ مَا، وذلك مراعاة لبعض المراتب، لكن ما حَدَثَ إِنَّمَا كَانَ مِنْ أَجْلِ صِيَانَةِ النَّفُوسِ إِنَّ رَبِّي يَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَإِنَّهُ عَلَى مَا أَقُولُ شَهِيدٌ.

إنَّ الملك العادل هو ظلُّ الله في الأرض يجب أن يأوى الجميع في ظلِّ عدله ويستريحوا تحت جناح فضله ليس هذا المقام مقام التخصيص والتحديد ليكون مخصوصاً لبعضٍ دون البعض الآخر لأنَّ الظلَّ دليل على المظلِّ والحقَّ جلَّ ذكره دعا نفسه ربَّ العالمين لأنَّه لم يزل ولا يزال يرَبِّي الجميع فتعالى فضله الَّذِي سَبَقَ الْمُمْكِنَاتِ وَرَحْمَتُهُ الَّتِي سَبَقَتْ الْعَالَمِينَ، ومن الواضح جداً أنَّ الأمر الذي اشتهرت هذه الطائفة باسمه سواء أكانت على صواب أم على خطأ، كما يزعم القوم، اعتبرته حقاً فاعتنقته، لذا ضحوا بما عندهم ابتغاءً لما عِنْدَ اللّٰهِ فتضحيتهم هذه بأرواحهم في سبيل محبة الرَّحْمَنِ دليل صادق وشاهد ناطق على ما هُمْ يَدْعُونَ أَفْهَلُ شَوْهَدٍ أَنَّ الْعَاقِلَ يَضْحِي بِنَفْسِهِ بِلَا دَلِيلٍ أَوْ بَرَهَانٍ، وما أغرب أن يقال أنَّ هذا القوم قوم مجنون لأنهم لا ينخسرون في نفس أو نفسين بل جمع غفير من كلِّ قبيل مُثْمَلٍ من كوثر المعارف الإلهية فهروا إلى مشهد الفداء في سبيل مرضاة المحبوب عن طيب قلب وطوع خاطر، فإنَّ يُكْذَّبُ هَؤُلَاءِ النَّاسَ الَّذِينَ نَبَذُوا لِلّٰهِ مَا سِوَاهُ وَأَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَرْوَاهُمْ فِي سَبِيلِهِ فَبِأَيِّ حِجَّةٍ وَبَرَهَانٍ يَثْبُتُ لَدَى السُّلْطَانَ صَدَقَ قَوْلَ الْآخِرِينَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، فالمرحوم الحاج سيّد محمد أعلى اللهُ مَقَامَهُ وَأَعْمَسَهُ فِي لُجَّةِ بَحْرِ رَحْمَتِهِ وَغَفْرَانِهِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَعْلَمِ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ وَأَتَمِّ وَأَزْهَدِ أَهْلِ زَمَانِهِ وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ كَانَ بِدَرَجَةِ أَنْ أَلْسُنَ الْجَمِيعِ تَلْهَجُ بِذِكْرِهِ وَثَنَاتِهِ وَالْكُلُّ مَوْقِنٌ بِزَهْدِهِ وَوَرَعِهِ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ أَقْبَى بِنَفْسِهِ بِالْجِهَادِ مَعَ الرُّوسِ وَخَرَجَ مِنْ وَطَنِهِ لِنَصْرَةِ الدِّينِ رَافِعاً الْعِلْمَ الْمُبِينِ، مَعَ ذَلِكَ تَنَازَلَ عَنْ خَيْرٍ كَثِيرٍ مُقَابِلَ بَطْشِ يَسِيرٍ يَا لَيْتَ كُشِفَ الْغِطَاءُ وَظَهَرَ مَا سَتَرَ عَنِ الْأَبْصَارِ، فَمَنْدَ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً هَذِهِ الطَّائِفَةُ مَضْطَهَدَةٌ بِسَطْوَةِ الْغَضَبِ الْخَاقَانِي لِيلاً وَنَهَاراً وَشُرِّدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى دِيَارٍ بِمَا هَبَّتْ عَلَيْهِمْ عَوَاصِفُ الْقَهْرِ السُّلْطَانِي، وَمَا أَكْثَرَ الْأَطْفَالَ الَّذِينَ فَقَدُوا آبَاءَهُمْ وَالْآبَاءَ الَّذِينَ أَمْسُوا بِلَا أَبْنَاءٍ، وَكَمْ مِنَ الْأُمَّهَاتِ اللَّوَاتِي لَمْ يَتَجَرَّأَنَّ عَلَى الْبِكَاةِ عَلَى أَوْلَادِهِنَّ الْمَقْتُولِينَ خَوْفاً وَهَلَعاً، وَمَا أَكْثَرَ الْعِبَادَ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْعَشِيِّ أَصْحَابَ ثَرْوَةٍ وَغِنَاءٍ ثُمَّ أَصْبَحُوا فِي الْإِشْرَاقِ بِمَنْتَهَى الْفَقْرِ وَالذَّلِّ، مَا مِنْ أَرْضٍ إِلَّا وَقَدْ صُبِغَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ وَمَا مِنْ هَوَاءٍ إِلَّا وَقَدْ أَرْتَفَعَتْ إِلَيْهِ زَفْرَاتُهُمْ، وَلَقَدْ هَظَلَّ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الْأَعْوَامِ الْمَعْدُودَةِ سَهَامُ الْبَلَاءِ مِنْ سَحَابِ الْقَضَاءِ دُونَ انْقِطَاعِ وَمَعَ كُلِّ هَذِهِ الْبَلَايَا وَالْقَضَايَا لَمْ تَزَلْ نَارُ الْحَبِّ الْإِلَهِيِّ مُشْتَعَلَةً فِي قُلُوبِهِمْ بَحِيثٌ لَوْ قُطِعَ الْكُلُّ إِرْباً إِرْباً لَمَا تَنَازَلُوا عَنْ مَحَبَّةِ مَحْبُوبِ الْعَالَمِينَ بَلْ تَمَنَّوْا مِنْ صَمِيمِ قُلُوبِهِمْ وَبِكُلِّ شَوْقٍ مَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ.

يا أيها السلطان إن نسمات رحمة الرحمن قلبت هؤلاء العباد وساقتهم إلى شطر الأحديّة و"برهان العاشق الصادق في رُدّه" ولكن بعض العلماء القشريين كدّروا قلب ملك الزمان المنير بالنسبة إلى محرمي حرم الرحمن وقاصدي كعبة العرفان، يا ليت رأي الملك السديد يقرُّ على اجتماع علماء العصر بهذا العبد حتّى يأتي في محضره بالحجّة والبرهان، فهذا العبد مستعدّ ويسأل الله متمنياً عقد مثل هذا المجلس حتّى تتضح وتلوح في سُدّة حضرة السلطان حقيقة الأمر وبعد ذلك الأمر بيدك وأنا حاضر تلقاء سرير سلطنتك فاحكم لي أو عليّ، يقول الله الرحمن في الفرقان وهو الحجّة الباقية بين ملاء الأكوان ﴿فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وجعل تمني الموت برهاناً للصدق، ومعلوم لدى مرآة ضميرك المنير ما هو الحزب الذي صحّى اليوم معتنقه بأرواحهم في سبيل معبود العالمين، ولو كتبت الكتب الاستدلالية لهذا القوم بالدماء المسفوكة في سبيله تعالى في إثبات ما هم عليه، لوجدت عياناً كتب لا تُحصى بين البرية، فكيف الآن يمكن أن نُكذّب هؤلاء الذين تطابق أعمالهم أقوالهم ونصدّق نفوساً لم يرضوا بالتنازل عن ذرة واحدة من مراتبهم في سبيل الله المختار وما يزالون على هذه الشاكلة، فبعض العلماء الذين حكوا على هذا العبد بالكفر لم يروني قطّ ولم يقابلوني ولم يكونوا مطلعين على مقصدي ومع ذلك ما أرادوا ويفعلون ما يريدون، فلا بدّ لكلّ دعوى من برهان فالادعاء المحض وما يدلّ على الزهد الظاهر لا يكفيان، وحتّى ينكشف لدى حضرة السلطان بعض الأمور المستورة تأتي بفقرات باللغة الفارسية من الصحيفة المكنونة الفاطمية صلوات الله عليها لمناسبتها في هذا المقام ومخاطبو هذه البيانات في الصحيفة المذكورة المعروفة اليوم بالكلمات المكنونة هم قوم يدلّ ظاهريهم على العلم والتقوى وباطنهم منطو على الرضوخ للنفس والهوى، يقول: "أيها المجرّدون عن الوفاء لماذا تدعون في الظاهر بأنكم رعاة ثمّ غدوتم في الباطن ذئاب أغنامي إنّما مثلكم كمثل نجم ما قبل الصبح فهو دري منير في الظاهر إلاّ أنّه في الباطن سبب إضلال قوافل مدينتي ودياري وهلاكها" وكذلك يقول "يا من تزيّن ظاهره وخبث باطنه إنّما مثلك كمثل ماء مرير صاف يرى فيه الرائي كمال اللطف والصفاء في الظاهر فإذا اختبره مذاق الأحديّة لم يقبل منه قطرة واحدة، إنّ تجلّي الشمس في التراب والمرأة سواء ولكن اعلم أنّ الفرق بينهما كالفرق بين الفرقدين والأرض بل الفرق بينهما شاسع لا نهاية له" وأيضاً "يا ابن الدنيا كم من أسخار أقبل فيها تجلّي عنائتي من مشرق اللامكان إلى مكانك ووجدك على فراش الراحة منصرفاً إلى غيري ورجع كالبرق الرّوحاني إلى مقرّ العزّ النورانيّ وما أفشيت سرّك في مكامن القرب عند جنود القدس وما آثرت نجلتك" وأيضاً "يا ابن من يدعي حيي، في الأسخار مرّ بك نسيم عنائتي ووجدك على فراش الغفلة نائماً فبكي حالك وعاد" انتهى.

لذلك لا ينبغي لدى العدالة السلطانية الاكتفاء بمجرد قول المدعي وفي الفرقان الذي هو الفارق بين الحقّ والباطل يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ وجاء في الحديث الشريف "لا تصدّقوا التّمأم" فالأمر قد اشتبه على بعض العلماء، وهم لم يروا هذا العبد، أمّا الذين لا قوني فإنهم يشهدون بأنّ هذا العبد لم يتكلّم إلاّ بما حكم الله في الكتاب وأنه ذاكر قوله تعالى في هذه الآية ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾.

يا ملك الزمان إن عيون هؤلاء المشردين متوجهة وناظرة إلى شطر رحمة الرحمن ولا ريب أن بعد هذه البليات رحمة كبرى وبلي هذه الشدائد العظمى رخاء عظيم ولكن من المأمول أن يهتم حضرة السلطان بنفسه الأمور حتى يكون ذلك سبباً لرجاء القلوب وفيما عرضت الخير المحض وكفى بالله شهيداً.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ يَا إِلَهِي أَشْهَدُ بِأَنَّ قَلْبَ السُّلْطَانِ قَدْ كَانَ بَيْنَ أَصْبَعِي قُدْرَتِكَ لَوْ تَرِيدُ قَلْبَهُ يَا إِلَهِي إِلَى شَطْرِ الرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ وَإِنَّكَ أَنْتَ الْمُتَعَالِي الْمُقْتَدِرُ الْمَنَّانُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْعَزِيزُ الْمُسْتَعَانُ. وَقِيلَ فِي مَوْهَلَاتِ الْعُلَمَاءِ "وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِئاً لِنَفْسِهِ حَافِظاً لِدِينِهِ مُخَالَفاً لِهَوَاهُ مُطِيعاً لِأَمْرِ مَوْلَاهُ فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يُقْلِدُوهُ" إِلَى آخِرِهِ، وَإِنْ تَفَرَّسَ مَلِيكَ الزَّمَانِ فِي هَذَا الْبَيَانِ الَّذِي جَرَى مِنْ لِسَانِ مَظْهَرِ وَحْيِ الرَّحْمَنِ، لَاحِظَ أَنَّ الْمُتَصَفِّينَ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ هُمْ أُنْدَرُ مِنَ الْكَبْرِيتِ الْأَحْمَرِ، لِذَا كُلٌّ مِنْ ادَّعَى الْعِلْمَ فَلَيْسَ قَوْلُهُ مَسْمُوعاً قَطُّ، وَكَذَلِكَ يَقُولُ فِي وَصْفِ فَقْهَاءِ آخِرِ الزَّمَانِ: "فُقَهَاءُ ذَلِكَ الزَّمَانِ أَشْرَفُ فُقَهَاءٍ تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ مِنْهُمْ خَرَجَتْ الْفِتْنَةُ وَالْيَهُودُ تَعُودُ" وَأَيْضاً يَقُولُ: "إِذَا ظَهَرَتْ رَايَةُ الْحَقِّ لَعَنَّا أَهْلَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ"، فَإِنْ كَذَّبَ أَحَدُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فَعَلَى هَذَا الْعَبْدِ إِثْبَاتُهَا وَإِيْجَازاً لِلْكَلامِ لَمْ نَذْكُرْ تَفَاصِيلَ رِوَايَاتِهَا. إِنَّ الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ هُمْ حَقّاً شَرِبُوا مِنْ كَأْسِ الْانْقِطَاعِ لَمْ يَعْترِضُوا عَلَى هَذَا الْعَبْدِ، مِثَالِ ذَلِكَ الْمَرْحُومِ الشَّيْخِ مَرْتَضَى أَعْلَى اللَّهِ مَقَامَهُ وَأَسْكَنَهُ فِي ظِلِّ قِيَابِ عِنَايَتِهِ الَّذِي كَانَ يُعْرَبُ عَنْ مَحَبَّتِهِ أَيَّامَ التَّوَقُّفِ فِي الْعِرَاقِ وَلَمْ يَنْطِقْ فِي هَذَا الْأَمْرِ بِغَيْرِ مَا أذِنَ اللَّهُ، نَسَأَلُ اللَّهَ بِأَنْ يُوفِّقَ الْكُلَّ عَلَى مَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَالْآنَ لَقَدْ غَضَّ النَّاسُ جَمِيعاً الطَّرْفَ عَنْ كَافَّةِ الْأُمُورِ وَانصَرَفُوا إِلَى إِيْذَاءِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ، وَإِنْ سَأَلْتَ بَعْضَ الَّذِينَ هُمْ مُسْتَرِيحُونَ فِي ظِلِّ عَطُوفَةِ السُّلْطَانِ بَعْدَ شَمُولِهِمْ فَضَلَ اللَّهُ الْبَارِي وَتَعَمَّمَهُمْ بِنِعْمٍ لَا تَحْصَى، إِنْ سَأَلْتَهُمْ آيَةَ خِدْمَةِ قَدَمْتُمُوهَا مُقَابِلَ النِّعْمَةِ السُّلْطَانِيَّةِ؟ أَضْفَعْتُمْ مَلِكاً إِلَى الْمَمَالِكِ بِحَسَنِ تَدْبِيرِكُمْ أَوْ بَاشَرْتُمْ أَمراً يَكُونُ سَبَباً لِرِخَاءِ الرَّعِيَّةِ وَأَعْمَارِ الْمَمْلَكَةِ وَبِقَاءِ عَاطِرِ الذِّكْرِ لِلدَّوْلَةِ، لَيْسَ لَدَيْهِمْ مِنْ جَوَابِ سِوَى أَنْ يَعْرضُوا لِلسُّلْطَانِ عَنْ انْتِسَابِ جَمْعٍ مِنَ النَّاسِ إِلَى الْبَابِيَّةِ سِوَا أَنْ كَانَ ذَلِكَ صَدَقاً أَمْ كَذَباً ثُمَّ يَشْتَغِلُونَ بِالْقَتْلِ وَالنَّهْبِ وَهِيَ هُمْ فِي تَبْرِيزِ (إِيرَانَ) وَفِي الْمَنْصُورِيَّةِ (مِصْرَ) بَاعُوا بَعْضاً مِنَ النَّاسِ مُقَابِلَ مَالٍ كَبِيرٍ وَلَمْ يَذْكُرْ شَيْءً بَتَاتاً عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ لَدَى حَضْرَةِ السُّلْطَانِ وَلَمْ تَقَعْ كُلُّ هَذِهِ الْأُمُورِ إِلَّا لِأَنَّهَا وَجَدُوا هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءَ دُونَ نَصِيرِهِ، غَضُّوا الطَّرْفَ عَنْ أُمُورٍ خَطِيرَةٍ وَانصَرَفُوا إِلَى هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءِ، إِنَّ ثَمَّةَ طَوَائِفٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَمِلَلٍ مُخْتَلِفَةٍ مُسْتَرِيحَةٍ فِي ظِلِّ السُّلْطَانِ، فَلْتَكُنْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ إِحْدَاهَا، بَلْ مَا يَمْتَضِي عُلُوَّ هِمَّةِ مَلَازِمِي السُّلْطَانِ وَسَمُوَّ فِطْرَتِهِمْ هُوَ أَنْ تَسْتَظِلَّ كَافَّةُ الْأَدْيَانِ تَحْتَ ظِلِّ السُّلْطَانِ بِحَسَنِ تَدْبِيرِهِمْ وَيَحْكُمُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، إِنَّ إِجْرَاءَ حُدُودِ اللَّهِ عَدْلٌ مُحْضٌ وَالْكَلِّ رَاضُونَ بِذَلِكَ بَلْ الْحُدُودُ الْإِلَهِيَّةُ كَانَتْ وَمَا تَزَالُ سَبَباً وَعِلَّةً لِحِفْظِ الْبَرِيَّةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ". وَمَا هُوَ بَعِيدٌ عَنْ عَدْلِ حَضْرَةِ السُّلْطَانِ تَعَرَّضَ جَمْعٌ مِنَ النَّاسِ لِسِيَاطِ الْغَضَبِ مِنْ أَجْلِ خَطَا نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ وَمِنْ الْوَاضِحِ جَدّاً أَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ تَضُمُّ الْعَالَمَ وَالْجَاهِلَ وَالْعَاقِلَ وَالْغَافِلَ وَالْفَاسِقَ وَالْمُتَّقِيَّ وَأَمَّا ارْتِكَابُ الْأُمُورِ الشَّنِيعَةِ بَعِيدٌ عَنِ الْعَاقِلِ وَمَرَدٌّ ذَلِكَ أَنَّ الْعَاقِلَ إِذَا رَاغَبَ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّمَا زَاهَدَ عَنْهَا، فَإِنْ كَانَ زَاهِداً عَنْهَا لَا شَكَّ أَنَّهُ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْحَقِّ نَاهِيكً أَنْ خَشِيَةَ اللَّهِ تَمْنَعَهُ عَنِ ارْتِكَابِ الْمُنَاهِي وَالْمَسَاوِي، وَإِذَا كَانَ طَالِباً لِلدُّنْيَا فَهُوَ لَا يَتَوَخَّى ارْتِكَابَ أُمُورٍ تَكُونُ سَبَباً فِي إِعْرَاضِ الْعِبَادِ عَنْهُ وَعِلَّةً لِاسْتِحْشَاشِ مَنْ فِي الْبِلَادِ مِنْهُ فَيَقُومُ بِأَعْمَالٍ تَكُونُ سَبَباً

في إقبال الناس إليه، إذا فقد ثبت أن الأعمال المردودة كانت وما تزال من صنع نفوس جاهلة، نَسَأُ اللهُ بِأَنْ يَحْفَظَ عِبَادَهُ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَى غَيْرِهِ وَيَقْرِبَهُمْ إِلَيْهِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ يَا إِلَهِي تَسْمَعُ حَيْنِي وَتَرَى حَالِي وَضُرِّي وَابْتِلَائِي وَتَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي، إِنْ كَانَ نِدَائِي خَالِصًا لَوَجْهِكَ فَاجْذِبْ بِهِ قُلُوبَ بَرِيَّتِكَ إِلَى أَفْقِ سَمَاءِ عَرْفَانِكَ وَقَلْبَ السُّلْطَانِ إِلَى يَمِينِ عَرْشِ اسْمِكَ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ ارْزُقْهُ يَا إِلَهِي النِّعْمَةَ الَّتِي نَزَلَتْ مِنْ سَمَاءِ كَرَمِكَ وَسَحَابَ رَحْمَتِكَ لِيَنْقَطِعَ عَمَّا عِنْدَهُ وَيَتَوَجَّهُ إِلَى شَطْرِ الطَّافِكِ، أَيُّ رَبِّ أَيْدِهِ عَلَى نُصْرَةِ أَمْرِكَ وَأَعْلَاءِ كَلِمَتِكَ بَيْنَ خَلْقِكَ، ثُمَّ أَنْصُرْهُ بِجُنُودِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ لِيَسْخِرَ الْمَدَائِنَ بِاسْمِكَ وَيَحْكُمَ عَلَى مَنْ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا بِقُدْرَتِكَ وَسُلْطَانِكَ، يَا مَنْ بِيَدِكَ مَلَكُوتُ الْإِبْرَاجِ وَإِنَّكَ أَنْتَ الْحَاكِمُ فِي الْمَبْدِئِ وَالْمَعَادِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمُقْتَدِرُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

ولقد همَّ القوم للبس حقيقة هذا الأمر لدى حضرة السلطان بحيث أن كل قبيح صدر من فرد من أفراد هذه الطائفة اعتبروه من مذهب هؤلاء العباد، فوالذي لا إله إلا هو إن هذا العبد لم يسمح بارتكاب المكاره فكيف بالأمر التي صرحت الكتب الإلهية بنهها، إن الله نهى الناس عن شرب الخمر ونزل و ثبت هذا التحريم في الكتاب الإلهي وحذر علماء العصر جميعاً كثر الله أمثالهم الناس من هذا العمل الشنيع، فبالرغم من ذلك كله ترى بعضهم يتعاطونه، إذا تعود تبعة هذا العمل إلى النفوس الغافلة، وأما أولئك الذين هم مظاهر العز والتقدیس فساحتهم مقدسة ومنزهة ويشهد بتقدیسهم كل الوجود من الغيب والشهود.

أجل إن هؤلاء العباد يعتقدون بأن الله الحق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يقولون باستحالة ظهور المظاهر الأحديّة في العوالم المكلية، وإن قال قائل باستحالته فما الفرق بينه وبين قوم قالوا ﴿يُدُّ اللَّهُ مَغْلُوبَةً﴾، أما إذا كانوا يعتقدون أن الحق جلّ ذكره هو المختار يجب عليهم أن يقبلوا كل أمر يصدر من مصدر حكم ذلك السلطان القديم لا مفرّ ولا مهرب لأحدٍ إلا إلى الله لا عاصم ولا ملجأ إلا إليه، والمفروض على من يدعي اتیان الدليل والبرهان على ما يقول ويدعي، وما عدا ذلك لا يناط في أمره قطّ إعراض الناس من عالم وجاهل، إن الأنبياء الذين هم لآلئ بحر الأحديّة ومباطط الوحي الإلهي قد وقعوا فريسة إعراض الناس واعتراضهم كما يقول الله ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ وكذلك يقول ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ تأملوا في ظهور خاتم الأنبياء وسلطان الأصفياء روح العالمين له فداء وما أفضع الظلم الوارد على ذلك الشخص الذي هو مظهر عزّ الله ذي الجلال من أهل الضلال بعدما أشرقت شمس الحقيقة من أفق الحجاز، وكان العباد في غفلة عن أمره بحيث كانوا يظنون أن إيذائه من أعظم الأعمال وسبب الوصول إلى الحق المتعال، لأنّ علماء ذلك العصر من اليهود والنصارى أعرضوا عن تلك الشمس المضيئة من الأفق الأعلى في السنين الأولى من ظهوره وبإعراض هؤلاء شدّ جميع الناس من وضعهم وشريفهم أزر الهمة لإطفاء نور ذلك النير الساطع من أفق المعاني، وأسماء كل هؤلاء مذكورة في الكتب، ومن جملتهم وهب بن راهب وكعب بن أشرف وعبدالله أبي وأمثالهم ووصل أمر إعراضهم إلى مقام عقدوا مجلساً للمشورة في إيجاد سبيل لسفك دمه الطاهر كما أنبأ عنه الحق

جلّ ذكره ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ، وكذلك قال ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونُ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ .

تالله إن أفئدة المقربين لتحترق من مضمون هاتين الآيتين وأمثال هذه الأمور المحققة الواردة باتت منسية ولا يتفكر أحد قط في أسباب إعراض العباد عند ظهور الأنوار الإلهية، وكذلك تأملوا في عهد عيسى ابن مريم قبل خاتم الأنبياء بعد أن ظهر ذلك المظهر الرحماني أتهم جميع العلماء ساذج الإيمان هذا بالكفر والطغيان وأخيراً بإذن من أعظم علماء ذلك العصر حناس وكذلك قيافا الذي كان أفضى القضاة أوقعوا عليه ما يخجل القلم من ذكره ويعجز عن وصفه، ضاقت عليه الأرض بوسعتها إلى أن عرّجه الله إلى السماء، ولولا خشية الله لعرضنا تفاصيل أمور جميع الأنبياء وخاصة علماء التوراة الذين أجمعوا على أنه لن يأتي بعد موسى نبي مستقل صاحب شريعة وأنه سيظهر من ذرية داود من يروج شريعة التوراة وذلك كي يجري أحكام التوراة وترسخ بين أهل الشرق والغرب، وكذلك أهل الإنجيل قالوا بأنه من المحال طلوع صاحب أمر جديد من مشرق المشيئة الإلهية بعد عيسى ابن مريم واستدلوا بالآية الواردة في الإنجيل وهي "إِنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ تَزُولَانِ وَلَكِنَّ كَلَامَ ابْنِ الْإِنْسَانِ لَنْ يَزُولَ أَبَدًا" وهم متفقون بأن أقوال عيسى ابن مريم وأوامره لن تتغير وفي مقام من الإنجيل يقول "إِنِّي ذَاهِبٌ وَأَتٍ" وكذلك يبشر في إنجيل يوحنا "بِالرُّوحِ الْمُعْزِيِ الْآتِيِ مِنْ بَعْدِي" وأيضاً هناك علامات مذكورة في إنجيل لوقا، غير أن بعض العلماء في تلك الملة فسروا كل بيان حسب أهواء أنفسهم لذلك احتجوا عن المقصود، فيا ليت أذنت لي يا سلطان لنرسل إلى حضرتك ما تقرُّ به العيون وتطمئن به النفوس ويوقن كل منصفٍ بأن عنده علم الكتاب. وعندما يعجز بعض الناس كل منصفٍ بأن عنده علم الكتاب، وبعضى از ناس چون از جواب خصم عاجزند بجهل تحريف كتب متمسكند، وحال آنکه ذکر تحريف در مواضع مخصوصه بوده، لولا إعراض الجهلاء وأغماض العلماء لقلت مقالاً تفرح به القلوب وتطير إلى الهواء الذي يسمع من هزيز أرياحه إنه لا إله إلا هو ولكن الآن لعدم اقتضاء الزمان منعت اللسان عن البيان وختم إناء التبيان إلى أن يفتح الله بقدرته إنه هو المقتدر القدير.

سبحانك اللهم يا إلهي أسئلك باسمك الذي به سخرت من في السموات والأرض بأن تحفظ سراج أمرك بزجاجة قدرتك والطفك لئلا تمر عليه أرياح الإنكار من شطر الذين غفلوا من أسرار اسمك المختار، ثم زد نوره بدهن حكمتك إنك أنت المقتدر على من في أرضك وسمائك، أي رب أسئلك بالكلمة العليا التي بها فزع من في الأرض والسماء إلا من تمسك بالعروة الوثقى بأن لا تدعني بين خلقك فأرغني إليك وأدخلني في ظلال رحمتك وأشر بني زلال نحر عنيتك لأسكن في خباء مجدك وقباب الطافك، إنك أنت المقتدر على ما تشاء وإنك أنت المهيمم القيوم

يا سلطان قد خبت مصابيح الإنصاف واشتعلت نار الاعتساف في كل الأطراف إلى أن جعلوا أهلي أسارى من الزوراء إلى الموصل الحدباء، ليس هذا أول حرمة هتكت في سبيل الله ينبغي لكل نفس أن ينظر ويذكر فيما ورد على آل الرسول إذ جعلهم القوم أسارى وأدخلوهم في دمشق الفيحاء، وكان بينهم سيد الساجدين وسند المقرنين

وَكَعْبَةُ الْمُشْتَاكِينَ رُوحَ مَا سِوَاهُ فِدَاهُ، قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ الْخَوَارِجُ؟ قَالَ لَا وَاللَّهِ نَحْنُ عِبَادُ اللَّهِ بِإِيَّاتِهِ وَبِنَا أَمْرٍ تَغْرُ
 الْإِيمَانَ وَلَا حَتَّ آيَةَ الرَّحْمَنِ وَبِذِكْرِنَا سَأَلَتِ الْبَطْحَاءُ وَمَا طَتِ الظُّلْمَةُ الَّتِي حَالَتْ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، قِيلَ أَلَمْ يَأْتِ
 أَحَلَّهُ اللَّهُ أَوْ حَلَلْتُمْ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ؟ قَالَ نَحْنُ مِنْ أَتْبَاعِ أَمْرِ اللَّهِ وَنَحْنُ أَصْلُ الْأَمْرِ وَمَبْدُؤُهُ وَأَوَّلُ كُلِّ خَيْرٍ وَمَنْتَاهُ نَحْنُ
 آيَةُ الْقَدَمِ وَذِكْرُهُ بَيْنَ الْأُمَمِ، قِيلَ أَلَمْ تَرَ الْقُرْآنَ؟ قَالَ فِينَا أَنْزَلَهُ الرَّحْمَنُ وَنَحْنُ نَسَائِمُ السُّبْحَانِ بَيْنَ الْأَكْوَانِ وَنَحْنُ
 الشُّوَارِعُ الَّتِي انْشَعَبَتْ مِنَ الْبَحْرِ الْأَعْظَمِ الَّذِي أَحْيَى اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ وَيُحْيِيهَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَمِنَّا انْتَشَرَتْ آيَاتُهُ
 وَظَهَرَتْ بَيْنَاتُهُ وَبَرَزَتْ آثَارُهُ وَعِنْدَنَا مَعَانِيهِ وَأَسْرَارُهُ، قِيلَ لَا يَجْرِمُ مَلِيْمٌ قَالِ لِحُبِّ اللَّهِ وَانْقِطَاعِنَا عَمَّا سِوَاهُ، إِنَّا مَا
 ذَكَّرْنَا عِبَارَتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلْ رَشَّخْنَا رَشْخًا مِنَ الْبَحْرِ الْحَيَوَانِ الَّذِي كَانَ مُودِعًا فِي كَلِمَاتِهِ لِيُحْيِيَ بِهِ الْمُقْبِلُونَ وَيُطْلَعُوا بِمَا
 وَرَدَ عَلَى أَمْنَاءِ اللَّهِ مِنْ قَوْمٍ سُوءِ أَحْسَرِينَ، وَنَرَى الْيَوْمَ يَعْتَرِضُونَ الْقَوْمَ عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ قَبْلُ وَهُمْ يَظْهَرُونَ أَشَدَّ
 مِمَّا ظَلَمُوا وَلَا يَعْرِفُونَ، تَاللَّهِ إِنِّي مَا أَرَدْتُ الْفَسَادَ بَلْ تَطْهِيرُ الْعِبَادَ عَنْ كُلِّ مَا مَنَعَهُمْ عَنِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ مَالِكِ يَوْمِ
 التَّنَادِ، كُنْتُ نَائِمًا عَلَى مَضْجِعِي مَرَّتْ عَلَيَّ نَفْحَاتُ رَبِّي الرَّحْمَنِ وَأَيَّقَطْنِي مِنَ النَّوْمِ وَأَمْرِي بِالنِّدَاءِ بَيْنَ الْأَرْضِ
 وَالسَّمَاءِ، مَا كَانَ هَذَا مِنْ عِنْدِي بَلْ مِنْ عِنْدِهِ وَيَشْهَدُ بِذَلِكَ سَكَّانُ جَبْرُوتِهِ وَمَلَكَوتِهِ وَأَهْلُ مَدَائِنِ عَزِّهِ، فَوَيْتَنَفْسِهِ
 الْحَقِّ لَا أَجْزَعُ مِنَ الْبَلَايَا فِي سَبِيلِهِ وَلَا عَنِ الرِّزَايَا فِي حَبِّهِ وَرِضَائِهِ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْبَلَاءَ غَادِيَةً لِهَذِهِ الدَّسَكِرَةِ
 الْخَضْرَاءِ وَذِبَالَةً لِمُصْبَاحِهِ الَّذِي بِهِ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، هَلْ يَبْقَى لِأَحَدٍ مَا عِنْدَهُ مِنْ ثَرَوَتِهِ أَوْ يَغْنِيهِ غَدًا عَنْ
 مَالِكِ نَاصِيَتِهِ، لَوْ يَنْظُرُ أَحَدٌ فِي الَّذِينَ نَامُوا تَحْتَ الرِّضَامِ وَجَاوَرُوا الرِّغَامَ هَلْ يَقْدِرُ أَنْ يُمَيِّزَ رِمَمَ جَمَاجِمِ الْمَالِكِ عَنْ
 بَرَاجِمِ الْمَمْلُوكِ؟ لَا فَوَاللَّهِ الْمَمْلُوكُ، وَهَلْ يَعْرِفُ الْوَلَاةَ مِنَ الرَّعَاةِ وَهَلْ يُمَيِّزُ أَوْلِي الثَّرْوَةِ وَالْغِنَاءِ مِنَ الَّذِي كَانَ بِلَا
 حِذَاءٍ وَوِطَاءٍ؟ تَاللَّهِ قَدْ رَفَعَ الْفَرْقُ إِلَّا لِمَنْ قَضَى الْحَقَّ وَقَضِيَ بِالْحَقِّ، أَيْنَ الْعُلَمَاءُ وَالْفُضَلَاءُ وَالْأَمْرَاءُ أَيْنَ دَقَّةُ
 أَنْظَارِهِمْ وَحِدَّةُ أَبْصَارِهِمْ وَرِقَّةُ أَفْكَارِهِمْ وَسَلَامَةُ أَذْكَارِهِمْ وَأَيْنَ خَزَائِنُهُمُ الْمَسْتَوْرَةَ وَزَخَارِفُهُمُ الْمَشْهُودَةَ وَسِرْرَهُمْ
 الْمَوْضُونَةَ وَفَرْشَهُمُ الْمَوْضُوعَةَ، هِيَاتٌ قَدْ صَارَ الْكُلُّ بَوْرًا وَجَعَلَهُمُ قَضَاءُ اللَّهِ هَبَاءً مَنْثُورًا، قَدْ نَثَلَ مَا كَنَزُوا وَتَشَتَّتَ مَا
 جَمَعُوا وَتَبَدَّدَ مَا كَتَمُوا، أَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا أَمَاكِنَهُمُ الْخَالِيَةَ وَسَقُوفَهُمُ الْخَالِيَةَ وَجَذُوعَهُمُ الْمُنْقَعَةَ وَقَشِيْبَهُمُ الْبَالِيَةَ،
 إِنَّ الْبَصِيرَ لَا يَشْغَلُهُ الْمَالُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْمَالِ وَالْخَيْرِ لَا تُمْسِكُهُ الْأَمْوَالُ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَى الْغِنَى الْمُتَعَالِ، أَيْنَ مِنْ حَكْمٍ
 عَلَى مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ عَلَيْهَا وَأَسْرَفَ وَاسْتَطْرَفَ فِي الدُّنْيَا وَمَا خُلِقَ فِيهَا، أَيْنَ صَاحِبُ الْكِتَابَةِ السَّمْرَاءِ وَالرَّايَةِ
 الصَّفْرَاءِ، أَيْنَ مَنْ حَكَمَ فِي الزُّورِ وَأَيْنَ مَنْ ظَلَمَ فِي الْفِيحَاءِ وَأَيْنَ الَّذِينَ ارْتَعَدَ الْكُنُوزُ مِنْ كَرَمِهِمْ وَقَبِضَ الْبَحْرُ عِنْدَ
 بَسْطِ أَكْفِهِمْ وَهَمَمِهِمْ، أَيْنَ مَنْ طَالَ ذِرَاعُهُ فِي الْعِصْيَانِ وَمَالَ ذِرْعَهُ عَنِ الرَّحْمَنِ، أَيْنَ الَّذِي كَانَ أَنْ يَجْتَبِيَ اللَّذَاتِ
 وَيَجْتَنِيَ أَمْثَارَ الشَّهَوَاتِ، أَيْنَ رَبَاتِ الْكَمَالِ وَذَوَاتِ الْجَمَالِ، أَيْنَ أَغْصَانَهُمُ الْمُتَمَائِلَةَ وَأَفْنَانَهُمُ الْمُتَطَاوِلَةَ وَقُصُورَهُمُ الْعَالِيَةَ
 وَبَسَاتِينَهُمُ الْمَعْرُوشَةَ، وَأَيْنَ دَقَّةُ أَدِيمِهَا وَرِقَّةُ نَسِيمِهَا وَخَرِيرُ مَائِهَا وَهَزِيرُ أَرْيَاحِهَا وَهَدِيرُ وَرْقَائِهَا وَحَفِيفُ أَشْجَارِهَا، وَأَيْنَ
 سُحُورَهُمُ الْمَفْتَرَةَ وَثُغُورَهُمُ الْمَبْتَسِمَةَ، فَوَاهَا لَهُمْ قَدْ هَبَطُوا الْحَضِيضَ وَجَاوَرُوا الْقَضِيضَ لَا يَسْمَعُ الْيَوْمَ مِنْهُمْ ذِكْرٌ وَلَا
 رِكْزٌ وَلَا يَعْرِفُ مِنْهُمْ أَمْرٌ وَلَا رَمَزٌ، أَيُّمَارُونَ الْقَوْمَ وَهُمْ يَشْهَدُونَ؟ أَيْنُكْرُونَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ؟ لَمْ أَدْرِ بِأَيِّ وَادٍ يَهَيِّمُونَ،
 أَمَا يَرُونَ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ؟ إِلَى مَتَى يَغَيِّرُونَ وَيَجِدُونَ يَهَيِّطُونَ وَيَصْعَدُونَ؟ ﴿لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ
 لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، طُوبَى لِمَنْ قَالَ أَوْ يَقُولُ بَلَى يَا رَبِّ أَنْ وَحَانَ وَيَنْقَطِعُ عَمَّا كَانَ إِلَى مَالِكِ الْأَكْوَانِ وَمَلِكِ الْإِمْكَانِ،
 هِيَاتٌ لَا يُحْصَدُ إِلَّا مَا زُرِعَ وَلَا يُؤْخَذُ إِلَّا مَا وُضِعَ إِلَّا بِفَضْلِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ، هَلْ حَمَلَتِ الْأَرْضُ بِالَّذِي لَا تَمْنَعُهُ

سُبْحَاتُ الْجَلَالِ عَنِ الصُّعُودِ إِلَى مَلَكُوتِ رَبِّهِ الْعَزِيزِ الْمُتَعَالِ؟ وَهَلْ لَنَا مِنَ الْعَمَلِ مَا يَزُولُ بِهِ الْعِلَلُ وَيُقَرِّبُنَا إِلَى مَالِكِ الْعِلَلِ؟ نَسْأَلُ اللَّهَ بِأَنْ يُعَامِلَنَا بِفَضْلِهِ لَا بِعَدْلِهِ وَيَجْعَلَنَا مِمَّنْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَانْقَطَعَ عَمَّا سِوَاهُ.

يَا مَلِكُ قَدْ رَأَيْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَا رَأَتْ عَيْنٌ وَلَا سَمِعَتْ أُذُنٌ، قَدْ أَنْكَرَنِي الْمَعَارِفُ وَضَاقَ عَلَيَّ الْمَخَارِفُ قَدْ نَضَبَ خَضْحَاخُ السَّلَامَةِ وَأَصْفَرَّ خَضْحَاخُ الرَّاحَةِ، كَرَمٌ مِنَ الْبَلَايَا نَزَلَتْ وَكَمٌ مِنْهَا سَوْفَ تَنْزِلُ، أَمْشِي مُقْبِلًا إِلَى الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ وَعَنْ وَرَائِي تَنْسَابُ الْحَبَابِ، قَدْ اسْتَهَلَّ مَدْمَعِي إِلَى أَنْ بَلَ مَضْجَعِي وَلَيْسَ حَزَنِي لِنَفْسِي تَاللهِ رَأْسِي يَشْتَاكُ الرِّيحَ فِي حُبِّ مَوْلَاهُ، وَمَا مَرَرْتُ عَلَى شَجَرٍ إِلَّا وَقَدْ خَاطَبَهُ فُوَادِي يَا لَيْتَ قُطِعْتَ لِاسْمِي وَصَلَبَ عَلَيْكَ جَسَدِي فِي سَبِيلِ رَبِّي بَلْ بِمَا أَرَى النَّاسَ فِي سَكْرَتِهِمْ يَعْصَمُونَ وَلَا يَعْرِفُونَ، رَفَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَوَضَعُوا إِلَهُهُمْ كَانَهُمْ اتَّخَذُوا أَمْرَ اللَّهِ هُزُوعًا وَهُلُوعًا وَلَعِبًا، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ وَفِي حِصْنِ الْأَمَانِ هُمْ مُحْصَنُونَ، لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَظُنُّونَ، غَدَا يَرُونَ مَا يَنْكُرُونَ، فَسَوْفَ يُخْرِجُونَنَا أَوْلُو الْحُكْمِ وَالْغَنَاءِ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي سَمَّيْتَ بِأَدْرَنَةَ إِلَى مَدِينَةِ عَكَا، وَمَا يَحْكُونَ إِنَّهَا أَخْرَبَ مَدِينِ الدُّنْيَا وَأَقْبَحَهَا صُورَةً وَأَرْدَوْهَا هَوَاءً وَأَتْنَهَا مَاءً كَانَتْهَا دَارُ حُكُومَةِ الصِّدْقِ لَا يَسْمَعُ مِنْ أَرْجَائِهَا إِلَّا صَوْتُ تَرْجِيْعِهِ، وَأَرَادُوا أَنْ يَحْبِسُوا الْغُلَامَ فِيهَا وَيَسُدُّوا عَلَى وَجْهِهَا أَبْوَابَ الرَّخَاءِ وَيَصُدُّوا عَنَّا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِيمَا غَبَرَ مِنْ أَيَّامِنَا، تَاللهِ لَوْ يَنْهَكُنِي اللَّغَبُ وَيَهْلِكُنِي السَّغْبُ وَيَجْعَلُ فِرَاشِي مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ وَمَوَانِسِي وَحُوشِ الْعَرَاءِ لَا أَجْزَعُ وَأَصْبِرُ كَمَا صَبَرَ أَوْلُو الْحَزْمِ وَأَصْحَابُ الْعَزْمِ بِحَوْلِ اللَّهِ مَالِكِ الْقَدِيمِ وَخَالِقِ الْأُمَمِ، وَأَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ الْأَحْوَالِ وَنَزْجٍ مِنْ كَرَمِهِ تَعَالَى بِهَذَا الْحَبْسِ يُعْتَقُ الرَّقَابَ مِنَ السَّلَاسِلِ وَالْأَطْنَابِ وَيَجْعَلُ الْوَجْهَ خَالِصَةً لَوَجْهِهِ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ، إِنَّهُ حَبِيبٌ لِمَنْ دَعَاهُ وَقَرِيبٌ لِمَنْ نَاجَاهُ، وَنَسْأَلُهُ بِأَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْبَلَاءَ الْأَدْهَمَ دَرَعًا لِهَيْكَلِ أَمْرِهِ وَبِهِ يَحْفَظُهُ مِنْ سَيُوفِ شَاخِذَةٍ وَقَضْبِ نَافِذَةٍ، لَمْ يَزَلْ بِالْبَلَاءِ عَلَا أَمْرُهُ وَسَنَا ذَكَرَهُ هَذَا مِنْ سُنَّتِهِ قَدْ خَلَّتْ فِي الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ وَالْأَعْصَارِ الْمَاضِيَةِ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ الْقَوْمَ مَا لَا يَفْقَهُونَهُ الْيَوْمَ إِذَا عَثَرَ جَوَادِهِمْ وَطُوبَى مِهَادِهِمْ وَكَلَّتْ أَسْيَافُهُمْ وَزَلَّتْ أَقْدَامُهُمْ، لَمْ أَدْرِ إِلَى مَتَى يَرْكَبُونَ مَطِيَّةَ الْهَوَى وَيَهَيِّمُونَ فِي هَيْمَاءِ الْغَفْلَةِ وَالْغَوَى، أَيَقْبَى عِرَّةً مِنْ عَرَّةٍ وَذِلَّةً مِنْ ذَلَّةٍ؟ أَمْ يَبْقَى مِنْ اتِّكَا عَلَى الْوَسَادَةِ الْعُلْيَا وَبَلِّغِ فِي الْعِزَّةِ إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى؟ لَا وَرَبِّي الرَّحْمَنُ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانْ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّي الْعَزِيزِ الْمَنَّانِ، أَيِ دِرْعٍ مَا أَصَابَهَا سَهْمُ الرَّدَى وَأَيِ فُودٍ مَا عَرَّتَهُ يَدُ الْقَضَا، وَأَيِ حِصْنٍ مَنَعَ عَنْهُ رَسُولُ الْمَوْتِ إِذَا أَتَى؟ وَأَيِ سَرِيرٍ مَا كَسِرَ؟ وَأَيِ سَدِيرٍ مَا قَفَرَ؟ لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا وَرَاءَ الْخِتَامِ مِنْ رَحِيقِ رَحْمَةِ رَبِّهِمْ الْعَزِيزِ الْعَلَامِ لَنَبَذُوا الْمَلَامَ وَاسْتَرْضَوْا عَنِ الْغُلَامِ، وَأَمَّا الْآنَ جَمَّ بِنِي بِحِجَابِ الظَّلَامِ الَّذِي نَسَجُوهُ بِأَيْدِي الظُّنُونِ وَالْأَوْهَامِ، سَوْفَ تَشُقُّ يَدُ الْبَيْضَاءِ جَيْبًا لِهَذِهِ اللَّيْلَةِ الدَّمَاءِ وَيَفْتَحُ اللَّهُ لِمَدِينَتِهِ بَابًا رَتَاجًا، يَوْمئِذٍ يَدْخُلُونَ فِيهَا النَّاسُ أَفْوَاجًا وَيَقُولُونَ مَا قَالَتْهُ اللَّائِمَاتُ مِنْ قَبْلِ لِيُظْهِرَ فِي الْغَايَاتِ مَا بَدَأَ فِي الْبِدَايَاتِ، يُرِيدُونَ الْإِقَامَةَ وَرِجْلَهُمْ فِي الرِّكَابِ؟ وَهَلْ يَرُونَ لَذَهَابِهِمْ مِنْ إِيَابٍ؟ لَا وَرَبِّ الْأَرْبَابِ إِلَّا فِي الْمَاءِ، يَوْمئِذٍ يَقُومُ النَّاسُ مِنَ الْأَجْدَاثِ وَيَسْتَلُونَ عَنِ التُّرَاثِ، طُوبَى لِمَنْ لَا تَسُومُهُ الْأَثْمَالُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ تَمَرُ الْجِبَالِ وَيَحْضُرُ الْكُلُّ لِلسُّؤَالِ فِي مَحْضَرِ اللَّهِ الْمُتَعَالِ إِنَّهُ شَدِيدُ النَّكَالِ، نَسْأَلُ اللَّهَ بِأَنْ يَقْدَسَ قُلُوبَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الضَّغِينَةِ وَالْبَغْضَاءِ لِيَنْظُرُوا الْأَشْيَاءَ بِعَيْنٍ لَا يَغْلِبُهَا الْإِغْضَاءُ وَيُصْعِدُهُمْ إِلَى مَقَامٍ لَا تَقْلِبُهُمُ الدُّنْيَا وَرِيَاسَتُهَا عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْأَفْقِ الْأَعْلَى وَلَا يَشْغَلُهُمُ الْمَعَاشُ وَأَسْبَابُ الْفِرَاشِ عَنِ الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يَجْعَلُ الْجِبَالَ كَالْفِرَاشِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ يَفْرَحُونَ بِمَا وَرَدَ عَلَيْنَا مِنَ الْبَلَاءِ فَسَوْفَ

يَأْتِي يَوْمٌ فِيهِ يَنُوحُونَ وَيَبْكُونَ، فَوَرَبِّي لَوْ خَيْرْتُ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِزَّةِ وَالْغِنَاءِ وَالثَّرْوَةِ وَالْعَلَاءِ وَالرَّاحَةِ وَالرِّخَاءِ وَمَا أَنَا فِيهِ مِنَ الشَّدَةِ وَالْبَلَاءِ لَأَخْتَرْتُ مَا أَنَا فِيهِ الْيَوْمَ، وَالْآنَ لَا أَبَدُّ ذَرَّةً مِنْ هَذِهِ الْبَلَايَا بِمَا خُلِقَ فِي مَلَكُوتِ الْإِنشَاءِ، لَوْلَا الْبَلَاءُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَدَّي بَقَائِي وَمَا نَفَعَنِي حَيَاتِي، وَلَا يَخْفَى عَلَى أَهْلِ الْبَصَرِ وَالنَّاطِرِينَ إِلَى الْمَنْظَرِ الْأَكْبَرِ بَأَنِّي فِي أَكْثَرِ أَيَّامِي كُنْتُ كَعَبْدٍ يُكُونُ جَالِسًا تَحْتَ سَيْفٍ عُلِقَ بِشَعْرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَمْ يَدْرِ مَتَى يَنْزِلُ عَلَيْهِ أَيُّزَلُ فِي الْحَيْنِ أَوْ بَعْدَ حَيْنٍ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ نَشَكَرُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَنُحَمِّدُهُ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، نَسْأَلُ اللَّهَ بِأَنْ يَبْسُطَ ظِلَّهُ لِيَسْرَعَ عَنِّي إِلَيْهِ الْمُوَحِّدُونَ وَيَأْوِينِ فِيهِ الْمُخْلِصُونَ وَيَرْزُقِ الْعِبَادَ مِنْ رَوْضِ عِنَايَتِهِ زَهْرًا وَمِنْ أَفْقِ الْطَافِهِ زَهْرًا وَيُوَيْدِهِ فِيمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى وَيُوفِّقَهُ عَلَى مَا يَقْرِبُهُ إِلَى مَطْلَعِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى لِيُغْضَّ الْطَّرْفَ مِمَّا يَرَى مِنَ الْإِنْجَافِ وَيَنْظُرَ إِلَى الرَّعِيَّةِ بَعَيْنِ الْأَلْطَافِ وَيَحْفَظَهُمْ مِنَ الْاِعْتِسَافِ، وَنَسْأَلُهُ تَعَالَى بِأَنْ يَجْمَعَ الْكُلَّ عَلَى خَلِيجِ الْبَحْرِ الْأَعْظَمِ الَّذِي كُلُّ قَطْرَةٍ مِنْهُ تَنَادِي إِنَّهُ مَبْشَرُ الْعَالَمِينَ وَمُحْيِي الْعَالَمِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، وَنَسْأَلُهُ تَعَالَى بِأَنْ يَجْعَلَكَ نَاصِرًا لِأَمْرِهِ وَنَاطِرًا إِلَى عَدْلِهِ لِتَحْكُمَ عَلَى الْعِبَادِ كَمَا تَحْكُمُ عَلَى ذَوِي قَرَابَتِكَ وَتَخْتَارَ لَهُمْ مَا تَخْتَارُهُ لِنَفْسِكَ، إِنَّهُ هُوَ الْمُقْتَدِرُ الْمُتَعَالِي الْمُهَيْمِنُ الْقَيُّومُ.